**جامعة تلمسان**

**كلية الآداب واللغات**

**قسم اللغة والأدب العربي**

دروس في نحو الاختلاف في المشرق العربي

ماستر 1/ سد 2 – لسانيات عربية

إعداد الأستاذ الدكتور عبد الجليل مصطفاوي.

**********

**المحاضرة2 : ظاهرة التأويل عند النحاة العرب الأوائل.**

**1-سيبويه عمرو بن عثمان قنْبَر:(تـ180 هـ):**

قال ابن النديم:" من أصحاب الخليل..ويُكنى أبا بِشر، وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح، وأخذ النحو عن الخليل- وهو أستاذه- وعن عيسى بن عمر، وعن يونس وعن غيرهم، وأخذ اللغات عن أبي الخطَّاب الأخفش الكبير، وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله ولم يلحق به أحد بعده"[1].

من صور تأويله قوله في بيت النابغة الجعدي:

فليسَ بمعروفٍ لنا أن نردَّها صِحاحاً، ولا مستنكرٌ أن تُعقَّرا

قال:" كأنه قال: ليس بمعروفٍ لنا ردُّها صحاحا ولا مستنكرٌ عقرُها"[2].

وقال في نحو قولهم:" ما كلُّ سوداءَ تمرةً ولا بيضاءَ شحمةً. و(بيضاءُ) في موضع جرٍّ، كأنك أظهرت (كلّ) فقلت: ولا كلُّ بيضاءَ. قال الشاعر أبو دُواد:

أكلَّ امرئٍ تحسبين امرأً ونارٍ تَوقَّدُ بالليلِ نارَا

---

[1]- الفهرست، ص232-233.

[2]- الكتاب، ج1ص64.

فاستغنيت عن تثنية (كلّ) لذكرك إياه في أول الكلام، ولقلة التباسه على المُخاطب"[3].

ومن ذلك قول الشاعر:

مُعاوِيَ إنَّما بشرٌ فاسجِحْ  فلسنا بالجبالِ ولا الحديدا

قال سيبويه:" لأن الباء إذا دخلتْ على شيء لو لم تدخل عليه لم يُخِلَّ بالمعنى، ولم يُحتجْ إليها وكان نصباً. ألا ترى أنهم يقولون: حسبُك هذان وبحسبِك هذا، فلم تغيِّر الباء معنى. وجرى هذا مجراه قبل أن تدخل الباء" [4].

وكذلك في قول امرئ القيس:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشةٍ  كفاني ، ولم أطلبْ، قليلٌ من المالِ

قال سيبويه:" فإنما رفع لأنه لم يجعل القليل مطلوباً، وإنما كان المطلوبُ عند المُلك، وجعل القليل كافيا، ولو لم يرد ذلك ونصب فسد المعنى" [5].

وتحدَّث عما سمَّاه بالحمل على المعنى، كما في قول جريرٍ:

جِئني بمِثْلِ بني بدْرٍ لقومهِمِ  أو مثلَ أسرةِ منظورِ بنِ سيَّارِ

وقول كعب بن جُعَيل التغلبي:

أعنِّي بخوَّارِ العِنان تخالُه  إذا راح يَردي بالمُدجَّجِ أَحرَدا

وأبيضَ مصقولَ السِّطامِ مُهنَّدا  وذا حَلَقٍ من نسجِ داوُدَ مُسرَدا

قال سيبويه:" فحمله على المعنى؛ كأنه قال: وأعطِني أبيضَ مصقول السِّطام، وقال: هاتِ مثلَ أسرة منظور بن سَيَّار" [6].

---

[3]- الكتاب، ج1ص65-66.

[4]- نفسه، ج1ص66-67.

[5]- الكتاب، ج1ص79.

[6]- نفسه، ج1ص170. خوَّار العنان هو الفرس، وَصَفَه باللين. يَرْدِي: من الرَّدَيان نوع من المشي المرِح، وأحرد المرِح الزاهي، والسِّطام حدُّ السيف، والمهنَّد المنسوب إلى الهند، والمُسرَد المتتابع النظم.

ومن الحمل على المعنى قول شاعر:

بينا نحنُ نطلبُه أتانا  مُعلِّقَ وَفْضةٍ وزِنادَ راعِ

فقد حمل (زنادَ) على محلِّ ( وفضة)؛ لأن المعنى:معلِّقاً وفضةً وزنادَ راعٍ[7].

**2- الفرَّاء يحي بن زياد:(ت207 هـ):**

فارسي من الدَّيلَم، ولد بالكوفة ونشأ بها، وكان من أعلام النحو الكوفي. من أشهر كتبه معاني القرآن، الذي قال عنه أبو العباس: لم يعمل أحدٌ قبله مثله، ولا أحسبُ أن أحداً يزيد عليه. وله أيضاً كتاب الحدود الذي ضم ستة وأربعين حدّاً، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب الجمع والتثنية في القرآن، وكتاب الوقف والابتداء[8] .

حين ذكر قوله تعالى﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ قال مفسِّراً:" وأما قوله﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ فإن هذه النون والواو إنما تكونان في جمع ذكران من الجنِّ والإنس وما أشبههم، فيقال: الناس ساجدون، والملائكة والجن ساجدون، فإذا عدوت هذا صار المؤنثُ والمذكَّرُ إلى التأنيث فيقال: الكباش ذُبحن وذُبِّحت ومُذبَّحات، ولا يجوز مُذبَّحون. وإنَّما جاز في الشمس والقمر والكواكب بالنون والياء لأنهم وُصفوا بأفاعيل الآدميين، ومثله ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ فكأنَّهم خاطبوا رجالا إذ كلَّمتْهم وكلَّموها، وكذلك﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾. فما أتاك مُواقعاً لعمل الآدميين أجريته على هذا"[9].

وفسَّر وصف الدم بالكذب في قوله تعالى﴿ وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ بالقول:" معناه مكذوب، والعرب تقول للكذب مكذوب، وللضعف مضعوف، وليس له عقدُ رأي ومعقودُ رأي، فيجعلون المصدر في كثير من الكلام مفعولا. ويقولون هذا أمرٌ ليس له مَعنيٌّ يريدون معنًى، ويقولون للجَلَد مجلود، قال الشاعر:

إنَّ أخَا المَجلُودِ مَنْ صَبَرا

---

[7]- ينظر الكتاب، ج1ص171، وكتاب الجمل، ص98-99

[8]- ينظر الفهرست، ص304-305.

[9]- معاني القرآن، ج2 ص35.

وقال الآخرُ:

حتى إذا لم يتركوا لعظامِهِ  لحماً، ولا لفؤادِهِ معقولا

وقال أبو ثروان: إنَّ بني نُميرٍ ليس لحدِّهم مكذوبة"[10].

وفسَّر الرفع والنصب في قوله تعالى﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ بقوله:" وقوله﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ مثل قوله﴿ فَصِيامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ﴾ و﴿ فَإِمَسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾، ولو كان: فصبراً جميلاً يكون كالآمرِ لنفسه بالصبر لَجازَ. وهي قراءةُ أَبَيّ" [11].

وفسر دلالة العطف والاستئناف في قوله تعالى﴿وَما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ فقال:" ..ثم قال عز وجلَّ﴿فَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ فرفع لأن النية فيه الاستئناف لا العطف على ما قبله. ومثله﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾، ومثله في براءة﴿ قَاتِلُوهُم يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ ثم قال﴿وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾. فإذا رأيت الفعل منصوبا وبعده فعلٌ قد نُسقَ عليه بواو أو فاء أو ثمَّ أو( أو)، فإن كان يشاكلُ معنى الفعل الذي قبله نَسقتَه عليه، وإن رأيته غير مشاكلٍ لمعناه استأنفته فرفعته. فمن المنقطع ما أخبرتك به. ومنه قول الله عز وجل﴿ وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ رفعت (وَيُرِيدُ الَّذينَ ) لأنها لا تشاكل (أَنْ يَتُوبَ)، ألا ترى أن ضمَّكَ إياهما لا يجوز؛ فاستأنفتَ أو رددتَه على قوله( واللهُ يريدُ)، ومثله﴿ يُرِدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾؛ في موضع رفع لا يجوز إلا ذلك. ومثله قوله:

والشعر لا يَسْطيعُه مَنْ يظلِمُه  يريدُ أن يُعربَه فيُعجِمُهُ " [12]

**3- الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مَسْعدة المُجاشِعي:(تـ210 هـ):** من أعلام البصرة، أخذ عن سيبويه وهو أسنُّ منه، ولقي من لقيه سيبويه من العلماء، وهو الذي أقرأ الكتاب بعد وفاة سيبويه. من كتبه معاني القرآن، وكتاب المقاييس في النحو وكتاب العَروض وكتاب التصريف وغيرها[13].

---

[10]- معاني القرآن، ج3 ص38.

[11]- نفسه، ج3، ص39

[12]- نفسه، ج3 ص67-68.

[13]- ينظر الفهرست، ص236.

فسَّر النصب في قوله تعالى﴿ وَلاَ نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَ**نَكُونَ** مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ فقال:" نصب لأنه جواب للتمنِّي، وما بعد الواو كما بعد الفاء، وإن شئتَ رفعتَ وجعلته مثل اليمين، كأنهم قالوا: ولا نُكذِّبُ بآياتِ اللهِ ربِّنا ونكون واللهؤ من المؤمنين، هذا إذا كان ذا الوجه منقطعا من الأول، وبه نقرأ الآية: إذا نصب جعلها واو عطف، فكأنهم قد تمنَّوْا ألا يُكذِّبوا وأن يكونوا، وهذا – والله أعلم– لا يكون لأنهم لم يتمنَّوا الإيمان، إنما الردّن وأخبروا أنهم لا يُكذِّبون ويكونون من المؤمنين[14].

وفسَّر قراءتي الرفع والنصب في قوله تعالى﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ﴾ بالقول:" أي: ولا يعزُبُ عنه أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ، بالرفع. وقال بعضهم: ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبر بالفتح؛ أي: ولا مِنْ أصغرَ من ذلك ولا مِنْ أكبرَ، ولكنه( أفعل) ولا ينصرف، وهذا أجود في العربية وأكثر في القراءة، وبه نقرأ "[15].

+++++

هكذا تعامل النحاة الأوائل مع المادة النحوية تحليلا وتأويلا، فاجتهدوا في تفسير كثير من أساليب العربية، ولاسيما ما أوهم بخروجه عن أحكامها واستعمالاتها. عالجوا كل ذلك بناء على استقرائهم العميق لخصائصها وتنوع مصادرها شعرا ونثرا وتعدُّد لهجات. وقد ساهموا بصنيعهم الثرِّ في كشف أسرارها ومعادن غناها وعجائب ثرائها ولطائف مكنوناتها.

---

**14**– معاني القرآن للأخفش الأوسط، ج2 ص273.

**15**– نفسه، ج2 ص346.